خلع السلطان عبد الحميد

تأليف خليل الله افندي

الطبعة الثانية

طبع في مطبعة الاصلاح * دمشق الشام
سنة ١٩١٣

خلع
السلطان عبد الحميد

تاليف خليل الله افندي

الطبعة الثانية

طبع في مطبعة الاصلاح * دمشق الشام
سنة ١٩١٣

مقدمة الطبعة الثانية

على اثر سقوط السلطان عبد الحميد نشرنا هذه الرواية وقد تضمنت مظالم هذا الطاغية العاتي وما ارهق به العباد من انواع الظلم والاعتساف حتى حقدت عليه الامة جمعاء وتسرب ذلك الحقد الى الجيش فثار ثورة واحدة وخلعه عن منصة الخلافة . فلم يمض الا امد قليل حتى نفدت كافة نسخها لما آنسوا بها من حسن الترتيب وكياس الاسلوب فبدأوا يلحون علينا باعادة طبعها فاجابة الى سؤلهم اعدنا طبعها ابتغاء لمرضاتهم متكلين على الله الوهاب وهو الموفق الى الصواب

الحكم المطلق والاستبداد

قالوا ان الامة لاترقى رقياً صحيحاً الا اذا القيت مقاليد سياستها في يديها وتولت شؤونها بنفسها وان الحكم المطلق مهما كان فاضلا فهو من آثار الهمجية والبداوة ولا ترضاه الامة العاقلة وما زال النزاع قائماً بين الحاكم ورعيته منذ ظهر البشر في هذا الوجود فالحاكم يسعى في احتكار السيطرة على امته ويحاول ابادة الشورى من بين رعيته وكلما راى مصلحاً قام يتقاضاه التنازل عن شيءٍ من سلطته قتله شر قتلة واستاصل شافته ولا يفرق هؤلاء الظالمون الا من العقلاء المصلحين وما برحوا في جميع ادوارهم يستنفرون العامة عليهم ويموهون على الطبقات المنحطة من الشعب بمفاسدهم وينظرون الى اضعف نقطة في عامة الامة فيكسبون مودتها ويثيرونها على العلماء الفاضلين فيعزون اليهم المروق من الدين والخروج على الانبياء الصالحين ولا جرم ان جهلاء الامة لايتيسر لهم ان يكشفوا اراجيف الملوك بل يأخذونها على عواهنها فيهبون في وجوه المصلحين وهم لايعلمون انهم بقيامهم عليهم يقومون على انفسهم ويقضون على استقلالهم وما تحرك اولئك المرشدون الا

اشفاقاً على الامة ورغبة في انقاذها من ظلم الظالمين وجور الجائرين على ان المصلح لايخاف من الموت ولا يابه لما يلقاه من صنوف العذاب فهو يؤثر المصلحة العامة على منفعته الخاصة ويتفانى في خدمة امته واذا هلك على يد الحاكم فلا يلبث ان يظهر غيره من اعوانه يستشهدون على مبدئه وكلما قتل احدهم انبعثت قواه في نفوس اخوانه والاغلب ان المصلحين في الامم لايغلون في مطالبهم لاول مرة بل يطلبون من الملك المطلق ان يشاور عقلاء امته ويشركهم في تدبير شؤونهم واصلاح امورهم فان هو التجأ الى العنف واستبد برأيه وقلب لهم ظهر المجن فيضمون اطرافهم ويلمون شعثهم ولا ينقضي زمن حتى يقوموا قومة مدهشة لارجاع حريتهم المغصوبة واستعادة حقوقهم المسلوبة واذا كان الحاكم عاقلاً فلا يحجم عن اجابة طلبهم فيبقى متربعاً في دست السلطان ويحرز شرفاً عالياً ومقاماً فاضلاً وذلك كما فعل الميكادو ملك اليابان فانه تنحى عن امتيازاته وحقوقه وانشأ مجلساً ملياً فاصبح موضوعاً لفخر الامة ونموذجاً حسناً للملوك العاقلين

ان الاستبداد مضر بالامة وقد نشأ في الشرق ثم سرى سمه الى الغرب ويوهم الذين يلصقونه بالدين الاسلامي وصحائف التاريخ

ملوثة باعمال الملوك الشرقيين وفسادهم وليس هنالك دليل عَلَى ان الاسلام يقضي بالاستبداد او يسمح للملوك ان يستبدوا برعاياهم بل هو يأمر بالشوري وما فتئ جميع الخلفاء المسلمين مثالاً للعدل وكان الخليفة في بادي الامر ملكاً دستورياً ولم يصبح « مقدساً وغير مسؤول » الا في الازمنة الاخيرة فعبث بالشريعة الغراء واستباح اعراض الامة واستنزف دمها وابتزمالها ولا اعلم كيف يكون خليفة كهذا مقدساً وكل ما يأتيه من الافعال من اكبر المعار ومناقض لاوامر الشرع الشريف الذي يحتم عَلَى الخليفة ان يكون خادماً مخلصاً لامته ويقضي بالشورى قال الله لنبيه « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل عَلَى الله ان الله يحب المتوكلين» وقد اقتدى بعض سلاطين آل عثمان بملوك اوروبا المستبدين فاستبدوا برعيتهم كما استبد اولئك وكانوا يقولون ان الامة كناية عن شخصهم كما كان يقول لويس الرابع عشر وغيره فبعد هذا هل لنا ان نركن الى تخرصات الافرنج وتهمهم الباطلة التي يتهموننا بها وزعمهم ان الامة العثمانية تخلد الي الاستبداد وتتغاضى عن ملوكها المستبدين ولا تطالبهم بان يرعوا حرمة الملة· ثم انهم وهموا ان الدين الاسلامي

وهودين الدولة يغض مقلته عن طغيان الطاغين وبغي الباغين فيقولوا اية امة من امم الارض خلعت ثلاثة ملوك من ملوكها الواحد تلو الاخر غير الامة العثمانية التي ينسبون اليها التقهقر والتاخر والانحطاط والجهل فانا قد خلعنا السلطان عبد العزيز ثم خلعنا السلطان مراداً وقد خلع السلطان عبد الحميد في الحركة الاخيرة ولما قام الفرنسيس ليخلعوا ملكهم لويس السادس عشر ناصبتهم جميع الدول الفرنجية وصادرتهم وما ذلك الا لانهن كنا يملن الى الاستبداد ويؤيدنه بالقوة الفعلية وقد مادت اوربا كلها لخلع ملك مستبد ظالم وظلت قرناً بكماله ساحة لقتال الدول واهرقت دماء الملايين من الخلق لقتل رجل واحد على ان الامة العثمانية كانت اذا خلع احد سلاطينها الجبارين ترتدي رداء الجذل وترفع اعلام الفرح

❊ عبد الحميد وحزب تركيا الفتاة ❊

ولما انبث شر الاستبداد في الدولة العثمانية وتفاقم امره استطارت الامة غيظاً ووثب عقلاؤها وثبة الاسود والوا على انفسهم الضرب على ايدي الظالم وثل عرشه فنشأ لذلك الغرض حزب تركيا الفتاة الذي قام به مصطفى فاضل باشا ابن ابراهيم باشا المصري وهذا الرجل كان من زعماء الحرية الدستورية وقد تقلب

في مناصب الدولة وجالس ساسة الافرنج ودرس الدولة العلية درساً دقيقاً واشرف على مواطن ضعفها ووقف على مواقع خللها وعلم انه اذا لم ينهض فئة من المصلحين العثمانيين لاصلاح فسادها وتقويم منادها تصيرها لا محالة الى الخراب والاضمحلال فتمحض لنفع الامة وانشأ ذلك الحزب العظيم ونصره في رأيه معظم الذين تخرجوا في المدارس الاوربية ثم انه رفع عريضة الى السلطان عبد العزيز واورد لمعاً عن مبادئ الحزب واغراضه وقال فيها ان الدولة سائرة الى السقوط وان المظالم انقلبت كاهل الاهلين وطلب من الحكومة ان تتعهد الاصلاحات وتفتك بسوس الفساد الذي كاد يودي بجسم الملة والسلطنة على ان اراءه لم ترق لبعض رجال المابين فوشوا به وحرشوا السلطان عبد العزيز عليه لحزازات في صدورهم فهجر مصطفى فاضل الاستانة الى باريس في عام ١٨٦٥ فلحقه زمرة كبيرة من ناشئة العثمانيين فانفق عليهم المبالغ الطائلة وخرجهم في معاهد العلم الراقية وظهر منهم الكتبة والمنشئون ويمكن حسبان منشأ ذلك الحزب منذ هرب فاضل باشــا الى باريس ولما سقط السلطان عبد العزيز ارتقى سدة الخلافة السلطان مراد وذلك في سنة ١٨٧٦ ولم تطل مدة سلطانه فخلع واجتمع الاحرار الكبار مثل

مدحت باشا وغيره وفاوضوا اخاه عبد الحميد حتي ينوب عن مراد الى اجل معلوم فظل وكيلا ثم انهم اشترطوا عليه اذا جلس على اريكة الملك ان ينشي مجلس الامة فرضي على ذلك الشرط وابدي اخلاصاً مدهشاً ونية صافية وانعطافاً عظيماً عَلَى الاصلاح وماجلس عَلَى السرير حتى استوزر مدحت باشا وسلمه مفاتيح الحكومة وجمع المبعوثين والاعيان والقي عليهم خطبة فتفرشوا له واستانسوا به ولم يعلموا انه لعب بهم العوبة وضحك عليهم اضحوكة وخفيت عليهم دسائسه وانكتم عنهم نفاقه وكان في اثناء ذلك يلعب بهم لعب الكرة .

﴿ حنث عبد الحميد ﴾

ولما صدرت اوامر عبد الحميد باجتماع المجلس انتخب اعضاؤه عَلَى اسلوب سخيف ولم يراع القانون الاساسي مطلقاً وكان العهد الذي ابرمه في المحافظة عَلَى الدستور مودعاً مع مدحت باشا عَلَى انه لما بلغ امنيته وارتقى الى سرير الملك جعل يستبد بالاحرار وشكل الحكومة عَلَى وجه يطابق ظلمه فعين الوزراء عَلَى ما وافقه واستخدم جماعة من الظالمين الساقطين ودس الفتن في البلاد حتى هاج الروس عليه فاشهروا الحرب عليه ودعا مجلس المبعوثين الي التصديق عَلَى

ثم ان اراد مقصد للانقلابات في تلك الحرب واخيراً فض المجلس وقبض على عدد كبير من اعضائه ونفاهم واعظم اغلوطة اجترمها ثم القبض على مدحت باشا فانه نفاه الى الطائف بعد ان حرق بيته في الاستانة واوعز الى بعضهم ان يفتكوا به فمات خنقاً شهيداً .

وان لم يكن لهذا السلطان الظالم غير هذه الجريمة فكفى بها ان تلطخ صفحات التاريخ العثماني وتسود وجوه العثمانيين امام جميع الامم الراقية ولم ينقل لنا التاريخ مثيلاً لهذا السلطان بالنفاق ونكث العهود ثم انه ادعى في ذلك العهد ان الامة غير مستعدة للدستور وانه يضرها كثيراً ففرق المبعوثين ايدي سبا ولو لم يحنث بيمينه في تلك الاوقات واخلص في خدمة امته وابقى المجلس منعقداً في الاستانة لخطت الامة العثمانية في دوره خطوة مهمة في سبيل الاصلاح ومن تصفح التاريخ يجد ان اكثر الامم ادخلت الدستور نيابياً في زمن لم تكن ارقى منا في ذلك الدور فان الانكليز انشأوا مجلساً نيابياً في سنة ١٢٠٥ على عهد الملك يوحنا اعني منذ سبعمائة سنة ومشى مشيهم سائر الشعوب الفرنجية فانهم جميعهم سبقونا الى الحكم الشوروي ففازوا علينا وترقوا ترقياً باهراً ونحن رجعنا القهقرى وصرنا مضغة في الافواه وضحكة لجميع الملل .

﴿ اخلاق السلطان السابق ﴾

ولد عبد الحميد في عام ١٨٤٢ فعمره الآن سبعون سنة وهو ابن السلطان عبد المجيد وكان مكروهاً من والده وسائر افراد اسرته منذ طفوليته ولم يكن احداً منهم يحبه محبة خالصة لانه فطر على الاخلاق الدنيئة وعرف باللؤم والخبث ولما ارتقى عمه عبد العزيز الى سدة السلطنة كان يصل اناء الليل باطراف النهار في عرض التقارير الكاذبة عليه يشي بها على اخوته وعلى بعض المقربين وقد يبث العيون والجواسيس ليأتوا اليه بخبر يوصله الى السلطان وذلك حتى يوقع الضرر بالعباد ويعمل على دمار الاحرار وكثيراً ما كان عمه يؤنبه على غاوه ولومه وكان يقتل اوقاته كلها سدى ويصبو الى مجالسة المدجلين والمعزمين وذوي الخرافات والاكاذيب فلما قبض هو على صولجان الملك نهج منهج التخريب في جسم الدولة ولم يكن يعني بمصلحة الامة وانما كان كلما رأى رجلا مصلحاً مثل به تمثيلا شنيعاً ولم يبق حوله في كل دوره غير المستبدين الذين مالاءوه على مبادئه وارائه وقد انصرف بكليته الى ظلم الرعية واستباحة دمها فيقتل وينهب ويبذر ويعبث

بمرافق الامة وما فرعون الذي انبعث في مظالمه ولا نيرون الذي تهتك في محارمه ولا الحجاج ولا احد من ظلام الملوك يقاس بعبد الحميد في ظلمه وقسوته وتوحشه فقد كان يدير اذنا مصغية للواشين الكاذبين ويامر بالقبض على رجل مصلح ثم يكبله بالاصفاد او يرمي به الى لجج اليم المخيف وكان يكره العلم والترقية اقصى الكره وبرغم تضييقه على المعارف في عهده المشئوم ظهرت الناشئة وارتقى الادب والعلم في الاصقاع العثمانية وقام كثير من العلماء وصنفوا الكتب يدلك على مقاومته للعلم ومناواته لاهله ان احد العلماء كتب كتابا في دوره على علم الحيوان وتكلم في تضاعيف المؤلف على (الحباحب)وهو يدعي(حيوان يلدز)وكان الكتاب آية في بابه وحدث انه وقع جاسوس من جواسيس عبد الحميد فرفع تقريراً الى السلطان قال فيه انه اطلع على كتاب علم الحيوان حتى افضى الى فصل « حيوان يلديز » وذهب الى ان المؤلف يعرض بالسلطان فاذعن الى تقريره وامر بحرق نسخ الكتاب وسجن المؤلف . وا أسفاً كيف يكون رجل مثل هذا خليفة واميراً للمؤمنين ويكون المأمون خليفة هذا كان يجمع العلماء من

جميع المال ويشطهم على التـأليف وموالاة العلم وينفق عليهم القناطير المقنطرة من المال حتى يترجم كتاب الى لغته وذاك يضع العقبات امام العلماء ويفتك بهم فتكاً ذريعاً ويجرعهم كأساً امر من الحنظل ويصيخ بسمعه الى مايرفع اليه عنهم من الشكاوي الفارغة والوشايات الواهية . وقد نصح اليه مرة احد الفرنج ان يبعد بعض المقربين لانهم يشوشون امور الملة ويضعضعون شؤون الدولة فقال انه لايستطيع ابعادهم مادام يبدون اخلاصهم له وميلهم اليه وتفانيهم في خدمة شخصه كأنهم لم يوجدوا في مناصبهم الا حتى يسهروا على راحته ويتعهدوا صلاح شأنه ولو افضى ذلك الى تخريب السلطنة والاعتداء على حقوق الافراد والعبث بمصالح الامـة .

لم يقم بين سلاطين آل عثمان منذ ستمائة سنة رجل شر من عبد الحميد او ند له في استبداده وجـوره ولم تصل الدولة العثمانية في جميع ادوارها الى حالتها في زمن السلطان عبد الحميد فقد انسلخ منها في عهده معظم الولايات والايالات وقد كان نفسه لمجلس الامة في ذلك الحين من اعظم المضار التي لحقت بالدولة . تبعه عصر بالظلم والاستبداد لم يفطن له نمرود ولا حلم به الحاكم

بامره وكان يتألب حول السلطان عبد الحميد جماعة من الخونة والمنافقين لائوه في اخلاقه وناسبوه في شروره حتى اني قرات مرةً في احدى الصحف الانكليزية مقالة فوقت فيها المطاعن على الدولة العثمانية وصوبت المثالب نحو الملة الاسلامية وورد فيها ان السلطنة اصبحت محكومة بعصابة من اللصوص رئيسهم السلطان عبد الحميد

*****

استبداد السلطان والمقربون

تزلف الى السلطان المخلوع رجال اشرار كانوا يزينون له الظلم بالرعية ويقولون له ان الامة كلها تتغنى بمدحك وتجل قدرك واما اولئك الذين ينشدون الحرية وينتمون الى حزب تركيا الفتاة فهم ثمرة على البلاد ومثال الطيش فما عليك الا ان تزجهم بالبحور او تطعمهم للطيور وما عليك من حرج فانت خليفه الله على الارض ولم يدروا ان اعمال الخلفاء لم تكن على اسلوب اعمال السلطان لكانوا رجعوا عن غيهم وضلالهم · ان الله تعالى لا يريد من الخليفة ان ينهب مال الامة ويعبث ببيت المال كما يشاء وكما كان يفعل السلطان السابق عبد الحميد وهذه سيرة الخلفاء الراشدين

كلها مواعظ ومنافع للخلفاء الحاضرين كلهم كانوا يسهرون على راحة الامة ويدرأون عنها المغارم ويجرون اليها المغانم واما عبد الحميد فكان يمالئ الاجانب على امته ويوقعها في مآزق حرجة ولا يأبه لحرمتها فما زال يمتص من دمائها حتى اضحت امة متقهقرة ورجعت الى الوراء وغدت بعيدة عن الرقي الذي تنشده جميع الامم العاقلة. كانوا يقولون ان السلطان رجل عاقل حكيم داهية فاذا صح قولهم وثبت مدعاهم فيكون ادنى من جميع ملوك الارض باخلاقه لانهُ ما برح منذ تبوأ السدة يستعمل عقله ودهائه في سبيل الاضرار بالامة وكان يجعل الظلم والتفريق والتشتيت بين القلوب دأباً له طبقاً للقاعدة المذمومة ان التفريق يفضي الى امتداد سيادته واتساع سيطرته وبقي حاكماً في قلب اور[illegible] ثلث قرن ولم يستطع ان يتعلم امثولة نافعة من ملوك اوروبا العاقلين في نفس عاصمته كان من السفراء والوزراء الاجانب من اشتهروا برفعة الاخلاق وصدق النصيحة فلم ينتفع من احد منهم ولم يقدر ان يبدل شيئاً من اخلاقه الساقطة ومبادئهُ المنحطة. كان السلطان السابق يسيء ظنه بكل احد يصدق قولا ما ومنذ ثلاثة عشر عاماً جرت مناقشة ومراسلة بين سفير انكلترا في الاستانة وبين حكومة الدولة العثمانيه مؤداها ان بريطانيا نوت ان تنجلي عن القطر المصري

واحضر السفير الاوراق الرسمية موقعة من الحكومة المحيلة في مصر وعرضها على الصدر الاعظم فلما اتي بها هذا الى السلطان المخلوع ابي كل الاباء وقام رجال المابين المنافقون ونفروا السلطان ايضاً عن القبول ودعواهم ان الانكليز يدسون دسيسة للدولة العثمانية و يعملون على ابادتها فرجع السفير اوكونور لذلك العهد وهو خائب المسعى ضاحك من سلطان كاذب يعزو الكذب الى الصادقين المخلصين ومن الموكد ان الانكليز لم يحتالوا بذلك المسالك حيلة ولم يقصدوا قصداً سيئاً وانما كانوا مخلصين في دعواهم وهم الان ايضاً لايتاخرون البته عن اخلاء مصر اذا رضيت الدولة ان ترسل جنودها الى هناك للاستيلاء على القطر

كان المابين منبع الاستبداد العثماني وتعاقب زعامته رجال مثال عزت باشا وغيره من كانوا يحافظون على نفوذهم لقضي حاجاتهم فرغبوا السلطان عن ترقية الامة لانهم عرفوا انها اذ ترقت تقوم وتطالب بحقوقها المهضومة ولا تبقي لهم مجالا للسلب والنهب وتفاقم امر هولاء الاشرار حتي ان السفير الموما اليه انفاً زار احدهم مرة فحقره فاضطرم غيظاً وكتب الى ملكة بالبرق يستفهم منه عما اذا كان رجال المابين اصبحوا سلاطين وعما اذا كان هو سفيراً امام

السلطان عبد المجيد ام امامهم . وكان السلطان يستعمل كل ذكائه في بث الشرور وتحقير الامه والضرب على ايدي العقلاء حتى ان احدهم الف مرة كتابا كناه : حقوق الدول فرضى السلطان عن الكتاب ونشط صاحبه ثم ان جاسوساً من الجواسيس وشى بالمولف ورفع تقريراً الى عبد الحميد يقول له فيه ان اسم الكتاب مضر بالمصلحة العامة وان صاحبه خائن بلده ووطنه وانه يريد ان يسلم الوطن الى الدول لكونه دعا الكتاب حقوق الدول فذلك يفهم منه ان الدول لها حق التداخل بالمصالح العثمانية فصدق السلطان قول الجاسوس وحرق الكتاب وسجن صاحبه فانظر رعاك الله مبلغ ذكائه وفرط علمه

غنى السلطان عبد الحميد

كان عبد الحميد يعنى منذ قبض على صولجان الملك بالمال وحشده فارتكب في ذلك السبيل مركباً جائراً ونهب بيت المال ورفع راتبه الى المليون ذهباً بعد ان كان يتناول اسلافه اقل من هذا المبلغ بكثير ولم يرتضي به وانما اشرئبت نفسه الى سرقة الخزينة فسرق منها كل ما استطاع واصبحت في ايامه خاوية وعجزت الدولة عجزاً عظيماً في المال فطمعت بها الدول وكان فقرها من اعظم الاسباب التي

جعلتها تتضائل امام الدول الراقية القوية وفي خلال ضعفها كان السلطان واعوانه يتقلبون في العيش الخضال و يرتعون في مرابع المجد والفخار والامة فقيرة تعجز عن الدفع لعمالها الصغار فتجرأ هؤلاء والكبار ايضاً على مدايديهم الى مال الامة وضربت الرشوة اوتادها في الاصقاع العثمانية واصبح جميع المأمورين لصوصا لايقضون عملاً لافراد الامة الا اذا اخذوا منها من المال وزعيمهم يستحوذ على الضرائب والجمول ويلتهمها التهاما . عرف الجيش العثماني بالبسالة المدهشة والشجاعة المذهلة و بلغت الدولة في عصور السلاطين الحكماء الى درجة في القوة عظيمة حتى انه كان يفرق منها جميع الدول و يحسبن لها حساباً على انها في دور عبد الحميد انحطت انحطاطاً غريباً ولم تنتصر ولا في حرب من حروبها

ربّ الهلال اجب هل كنت تمنحه ما اعتاد من نصرات ذلك العلمُ

و كيف يتسهل الفوز في الحرب لنفرها في الرجلين عاري البدن فارغ البطن يساق الى الحرب سوقاً ولا يكافأ مكافاة صغيرة او كبيرة بل يهان ويحقر ويعامل معاملة الحيوان الاعجم ولا يقدم له كفاف من القوت وهو مالم تحك مثله احدوثة المتقدمين

ولا اساطير الاولين بل كانت الدولة العثمانيـــة وحيدة سيف هذا الباب وانما كان السلطان عبد الحميد رجلاً محباً لنفسه يبيع امته ودولته في سبيل منافعه الشخصية و يعتصم بحبال الفخار الكاذب والمجد الساقط فلا الاسكندر يوم انتصاره ولا القيصر في موكب افتخاره ولا نابليون حين فرق الدول طرائق ومزقهن حزائف كالسلطان عبد الحميد المخلوع يوم الجمعة في حفلة السلاملك اذ كان يحتاط به الوف من الجنود المدججين بالاسلحة البراقة والضباط المدرعين بالدروع اللماعة فانه في كل اسبوع يرجع من نصرة او يعود من غلبة

*****

خلافة السلطان عبد الحميد

لم تكن خلافة عبد الحميد ثابتة لامرين اولهما ان الذين بايعوه على الخلافة لم يفعلوا ذلك الا بعد ان وعدهم الوعود الموكدة واقسم الايمان المغلظة بالمحافظة عَلَى الدستور فلما اجلس عَلَى السرير حنث بيمينه فبطلت خلافته بنقض الشرط الذي خلفوه عليه والثاني ان الامة لم تبايعه بل بايعه بعض الوكلاء وهم ليسوا نوابا عن الامة لانها لم تستوزرهم والخليفة في الاسلام لايكون خليفة الا اذا

نصبته الامة وقداظهر الاسلام بغير مظهره وطفق الافرنج يعتقدون ان الدين الاسلامي يسمح للخليفة بالسفاحة والعهارة والسخافة لانهم رأوا خليفته « الغاصب عبد الحميد » سفاحاً ظلاماً سفاكاً فقاسوا الخلافة الاسلامية على ذلك الخليفة المخلوع واساؤا الى الاسلام بذلك القياس على انا نحن الملومون بسكوتنا عن عبد الحميد وتغاضينا عن افاعيله وصبرنا وكظمنا على مظالمه . كان الافرنج في دور عبد الحميد اذا تكلموا على الملوك الظالمين يمثلونهم بسلطان العثمانيين ومنهم المورخ الانكليزي ماير فقد ورد في كلامه على الملوك السفاحين قبل الثورة الفرنسوية . ان الملك لويس الخامس عشر كان يقترف آثاماً ويرتكب اجراماً يخجل منها السلطان العثماني فتأمل كيف ان عبد الحميد بفسقه وفجوره قدجعل الامة العثمانية والخلافة الاسلامية مضغة في افواه الماضغين واضحوكة للضاحكين وتحقرت القومية العثمانية في زمانه تحقراً مدهشاً وكان العثماني اذا هجر من وطنه يخجل ان ينتمي الى تلك القومية واذا سئل عن قوميته اطرق برأسه الى الارض ولم يحر جواباً

(*)*(*)

الدستور والتفريق بين العناصر

ولما ابهظت مناكب الرعية بسبب ماتحملوه من جرائر السلطان عبد الحميد نهضوا في العام المنصرم وطالبوه باعادة مجالس الامة وكانوا دبروا تدبيرهم واعدوا عدتهم فلم ير السلطان ندحة من اجابة رغائبهم لاسيما يوم القى فيالق الروملي قد استقتلت في سبيل الحرية وخشي ان هو ناوأها وانفذ اليها جيشه تشتبك ملاحم الحرب الاهلية بين العساكر العثمانية وتقضي الى ضغائن واحقاد بين الاهالي ربما ادت الى ضياع البلاد ومعروف ان الولايات المقدونية انقضى عليها حين من الدهر وهي ساحة تمثل فيها ادوار الفظائع الفاحشة وترتكب فيها الجرائم الفاضحة فآثر في ذلك الحين ان يذعن لمطالب الجيش على انه كتم في نفسه الشر واحتال عليهم حيلة وزعم انه يضحك عليهم ثم اذا سنحت له الفرصة يعود ويفض المجلس ويرجع الاستبداد وقد خفي عليه ان امة اليوم غير امة الامس وان دسائس عبد الحميد لم تعد تنطلي على عقول الامة كما انطلت عليها منذ ثلاثين عاماً وان الفكر قد ارتقى في هذه الاقطار برغم تضييقه وظلمه وجعل منذ ظهرت الشورى يلقي الفتن بين العناصر المتضاربة فطوراً ينبه الخواطر بين الارمن ليثبوا

ويطلبوا الاستقلال في بلدهم فنشأت جمعية بين ظهرانيهم جهدت نفسها في رفع المطالب الكثيرة الى الحكومة ونشد الاستقلال ثم انه دس سمه ايضاً بين الارناووط وسعى بينهم سعاية مضرة واقامهم على الدستور وحرش العرب على الحكومة وزين لهم الاستقلال والانفصال عن جسم الدولة العثمانية مع انه لم يدر في خلدهم قط هذا الفكر العقيم وكان مطمعه من كل هذه الفتن ان ينفر الفرنجة عن الدستور العثماني ويكرههم بحزب تركيا الفتاة فكان لسان حاله يقول المراقل ان الامة غير متأهبة لحكم نفسها بنفسها وان الحكم المطلق اوفق لها بكثير ففطن لفتنته رجال جمعية الاتحاد والترقي وهبوا يرتقون الفتوق التي فتقها ويرابون الصدوع التي صدعها ونشروا اراءهم بين عناصر الامة ورغبوهم عن فكرة الاستقلال لانها ستكون الضربة القاضية على الدولة وان الوسيلة النافعة التي تضمن للشعب بالترقي هو ان تتحد العناصر معاً تنضام جسماً واحداً حتى تتمكن من المناضلة عن شرفها والذب عن حياضها وبغير ذلك فالمسألة الشرقية تحل حلا مضراً بالامة العثمانية وتصبح غير جديرة بمصادرة الاعداء الخارجين فيطمع بها الفرنج ويستولون عليها فتكون قد جدعت مارن انفها بكفها وقتلت نفسها

بنفسها وضربت عليها سرادق الفناء الى آخر الدهر فليتنبه العقلاء الى فتنة عبد الحميد التي عزم عَلَى القائها بين عناصر الامة وكيف يمكن ان تكون عقباها عَلَى هذه الامة المنكودة التي اضحت في زمن عبد الحميد تغض مقلتها ان عدت الامم

*****

الاستقلال والاحتلال

ان فتنة عبد الحميد كانت بلا ريب داعية الى خراب الدولة وسقوطها ولو نجح في فتنته الاولى التي اراد بها التفريق بين الاقوام لكانت الامم الاوربية تداخلت في شؤوننا ورفعت اعلامهــا فوق رؤسنا ومن لم ينزل في بلد احتله هؤلاء الفرنجة فلا يقدر ان يدرك منزلة الاستقلال من المضار وما ينجم عنه من العار والشنار وليعلم من كان يروق له هذا الفكر السقيم ان الاحتلال بلية طامة عَلَى الامة المحتلة فيه يفقد القوم قوميته واستقلاله ويغدوا شعباً حقيراً في نظر المحتلين يسام اشد صنوف الهوان ويحقر اشد التحقير والوطني هو الغريب في دياره والدخيل في اقطاره ويحتكر المحتلون جميع المنافع الوطنية وتموت النفوس وتذل القلوب وغاية مايفعله اولئك الغالبون هي قيامهم ببعض الاصلاحات وانشاؤهم للمظاهر الكاذبات ولا

يزالون يستدينون المبالغ الطـائلة ويثقلون عاتق الامة بالديون فلا ينقضي ردح من الدهر حتى تقع الامة المحتلة في فوضى مالية وعندئذ تلقى الامة الغالبة سبيلاً الى الاستيلاء على البلد المحتل وهنالك قل سلام عَلَى القومية وسلام على اللغة وسلام عَلَى الاستقلال وسلام عَلَى الوطن بعد هذا هل يطمع احد من العثمانيين ان يضيع بلدهم ويأتي اليهم الفرنجة . ومهما كانت حكومتنا منحطة بالنسبة الى سـائر الحكومات الراقية فهي افضل لنا من كل حكومة اجنبية وخصوصاً بعد ان اعلنت الحرية ورجع القانون الاساسي وانما نحن نود ان تصلح شؤوننا بالتدريج ولا نهوى ذلك الاصلاح الغشاش الكذاب الذي يقوم به المحتلون وفي الوقت نفسه نبقى محافظين على كياننـا ويبقى لنا وطن نأكل من ثمره ونستظل بظله

ان العيشة في القطر الذي امتدت فيـه صولة الاجانب ليست بافضل من عيشة الرقيق في الدهور الاولى فالغالب يعامل المغلوب معاملة اسوأ من معاملة السيد لرقيقه فهل نرغب في استرقاق انفسنا للفرنجـة بعد ان نسجت عناكب الدهر عَلَى الاسترقاق والفرق بين الحالتين هو ان في الاحتلال نرى امـة تسترق امة وهنالك الفرد يسترق الفرد وفي كل حال يميل المرء الى

الاستقلال ويتفانى في الحصول عليه ومن رغب في تضييع استقلاله فليس امرؤًا عاقلاً لان الاستقلال هو ضالة الامم المنشودة وغايتهم المطلوبة

***

الفتنة الثانية

« التي فتنها عبدالحميد لاسقاط جمعية الاتحاد والترقي »

كثرت اقوال الناس عن هذه الجمعية فهم بين مادح وقادح او بين مبغض وناصح ومن نقد أعمالها بعين الاخلاص ونقب عن امرها وسبر غورها يجد انها قد خدمت الامة خدمة صائبة ولم تأت امراً اداً ولا ارتكبت شيئًا فريا وانما وضعت قبلة ابصارها منذ نشوئها اصلاح الامة وقيادتها الى ما فيه خيرها وفلاحها ولولاها ما كانت الدولة انتقلت من دور الاستبداد الى دور الشورى وانما مناوئوها معظمهم من الخونة المنافقين الذي نصروا السلطان في مبادئه وكانوا في الظلم من اكبر اعوانه فلما ظهرت الجمعية واعادت الحكم الدستوري وأقرته في قرار مكين تميز بعضهم غيظًا وجعل يلقي امامها عقبات كؤودة ويضرب على مساعيها واعظم اولئك المقاومين كامل باشا الذي

تولى الصدارة . كان هذا الرجل ناقماً على الجمعية وينكر عليها تداخلها في المسائل العمومية والخصوصية وسعى كثيراً في اسقاط نفوذها وصدع بيضتها واهباط كلمتها وتفريق شملها وكان في وزارته علي باشا وهو من الرجال المنتمين الى الجمعية فقام عليه وعزله وبذلك انتزل عمن الى نكاية سائر الاعضاء فاستطاروا غيظاً ولم يرتاحوا الى عزل الوزير وقامت قيامتهم في المجلس وعلت صيحتهم واشتدت ضجتهم على كامل باشا وفصلوه من الصدارة .

انا لااقول ان كامل باشا من الفئة المستبدة اوانه كان ينوي ارجاع الظلم الى البلاد على ان السلطان عبد الحميد اقامه على جمعية الاتحاد والترقي وزين له مصادرتهم ومقاومتهم بدعوى انهم يضرون الامة وان تحككهم بالمسائل العمومية مما يوقع خراباً للبلاد فانقاد كامل الى عبد الحميد ثم ان تحريش السلطان كاملاً عليهم فتنة ثانية هو اراد فيها اسقاط جمعية الاتحاد والترقي وكسر شوكتهم لانه رأى انهم اصبحوا قوة مدهشة في السلطنة وانهم ماداموا اصحاب الكعب الاعلى فلا يسهل عليه ان يرجع الاستبداد ويتمتع بمحاسن الدور الماضي

فعمد كامل باشا الى اسقاط الجمعية باسقاط احد زعمائها ولقد استاؤا من تلك الفعلة استياء بالغاً ومعلوم أن اكثر المبعوثين من اعضاء تلك الجمعية فانذروا الصدر وهددوه ثم انهم اتفقوا عليه وانزلوه عن الصدارة ولو لم يسلكوا ذلك المسلك وابقوا كاملاً في منصبه لكان نهج منهجاً مذموماً ونحا منحىً ملوماً وما زال بالجمعية حتى اضعفها وهنالك الخطر الاعظم عَلَى الدستور فان السلطان عبدالحميد كان يسهل عليه عندئذ ان يقوم عَلَى كامل باشا ويهلكه هو وحزبه لانهم لا يستطيعون ان يقابلوا قوة السلطان بالقوة ولا يمكن لهم ان يؤيدوا الدستور هذا اذا افترضنا انهم مخلصون للامة وانهم من انصار الشورى

في ذلك الوقت استقال الصدر وطلب من عبد الحميد ان يوجه الصدارة عَلَى رجل آخر فوجهها عَلَى حسين حلمي مكرهاً ولو انس فيه نفسه المقدرة على فض المجلس لما كان احجم عن فضه كما فعل في المرة الاولى عَلَى انه سكت على الضيم وانصب برمته عَلَى ايجاد فتنة اخرى بعد ان حاول في فتنتين ليمحق الاحرار ويضربهم ضربة ابدية ويخنق الشورى ابد الدهر فلم ينجح في كليتهما وفي اثناء كل ذلك لم ينقطع عن التزلف

للاحرار والثناء عَلَى اعمالهم ومدح جمعية الاتحاد والترقي مما يؤخذ من الادلة الدامغة والحجج البالغة عَلَى كذب الرجل وخداعه ونفاقه ولؤمه

السلطان السابق وجمعية الاتحاد المحمدي

لم يحقق عبد الحميد بعد ظهور الحرية منذ عشرة اشهر من ارجاع الاستبداد واعادة ما كان له من البطش والقوة فجعل يهب الاموال الى حزبه ويقويه حتى يكون هو واياه كالبنيان المرصوص وترصد كامناً يبتهل الفرص حتى يقضي على الحرية واخذ عَلَى نفسه ان ينتقم من الاحرار و يرد كيدهم في نحورهم فلما يئس من الفتن التي القاها في بادي الامر عمد الى فتنة اخرى وعرف في ذلك الحين ان القسم الاعظم من الامة من العامة وان لفظ الدين يؤثر في عقولهم فهب هبة الاسد من عرينه وقام يدس مشاغبه في البلاد و يثير الشعب عَلَى جمعية الاتحاد والترقي بدعوى انها تعبث بالدين وان رجالها مارقون من الاسلام ولا يخفى ما لهذه الالفاظ من التأثير . قال للامة ان الدستور مناقض للشرع الشريف وانه خليق بها ان تنهض للمطالبة بتطبيق الاحكام الشرعية والا

فتفضي الى التهلكة والدمار . تحت ذلك الفكر السقيم سعى بانشاء جمعية الاتحاد الارمني والاخاء العربي وغيرهما مما توخى منه التفريق والعبث بقوة الامة واضعافها وايهانها حتى يهون عليه ارجاع سيطرته الاولى

ومن الغريب جهره بهذه الفكرة السيئة وتصريحه بان الدستور مخالف الشرع الشريف مع انه يأمر بالشورى عَلَى ان غوغاء الامة لا يفهمون مأخذ الشريعة ولا روح الحرية فاستسلموا الى مشيئته وهجروا نهجه وخافوا عَلَى الدين من الضياع والخراب وكم من مرة اتخذ زعماء الاستبداد الدين ستاراً يتسترون به للتهويل عَلَى افكار العامة . وقد اندمج في سلك هذه الجمعية اكثر الجماعات المتقهقرين وكثر بينهم المعممون ورؤساء الدين واغدقت عليهم الاموال من زعيم الرجعيين عبد الحميد اموال ابتزها من الامة ثم هو استخدمها لضررها وتخريبها واستأجر في ذلك الحين صحفاً كثيرة للطعن عَلَى جمعية الاتحاد والترقي فظهرت جريدة وولقان التي زيفت اعمال الجمعية المذكورة واثارت العوام عليهم وافسدت اخلاق الامة بما موهت به عليها واظهرت الدين بغير مظهره ونسبت الى جمعية الاتحاد والترقي احوالا وشؤونا الله يشهد انها بريئة منها ولم يكن

لهاغرض منذ نشأت سوى المحافظة عَلَى الدستور والتشبث بالوسائل المفضية الى ترقي الامة وسمو شأنها بين الامم

تساول زعماء جمعية الاتحاد المحمدي رشى عبد الحميد وانفقوها عَلَى لذائذهم على ان صغارهم الذين تحمسوا لفكرتهم واستماتوا في بث مبادئهم لم ينلهم نصيب من ذلك الذهب واعظم الصحف التي كان لها ضلع في مقاومة الحرية ومعاونة الاستبداد (والمحمديين) ووولقان وسربستي واستخدمت جرائد اخرى كاقدام وغيرها وكان الغرض من كل ذلك تشويش الامة واغتنام الفرصة لتقويض عرش الحرية ودك معالمه وتأييد الاستبداد وارجاع المظالم نشأت الجمعية المحمدية في الاستانة وطريقة انتشارها امر مضحك للغاية فكان شيوخ الدين وسائر الزعماء يضربون في شوارع الاستانة شرقاً وغرباً وكلما رأوا جاهلا مسلماً قالوا له الست عَلَى دين محمد فيقول نعم فقالوا يجب اذاً ان تنخرط في الجمعية المحمدية اعلاءً لمجد الدين وتعظيماً لشأنه فدخلت النـاس افواجاً افواجاً وكثر اعضاؤها كثر مدهشة حتى اصبح وجود تلك الجمعية خطراً فادحاً عَلَى الامة وكانت الحكومة عندئذٍ مشتغلة بشؤون الدولة فلم يتيسر لها معاقبة تلك الجمعية وتفريقها ولو فطنت لها في بادئ

الامر لسهل عليهـــا اطفـــاء جذوتها والقضاء عليها وما ايد جمعية الاتحاد المحمدي انفصال جماعة الاحرار عن جمعية الاتحاد والترقي ومناصبتها اياها العداء وسعيها في كسب الشهرة والنفوذ مما لم تحلم به اختها قط ولم تعمد الا الى حقاق الحق وازهاق الباطل والسير بهذه الامة الى سواء السبيل

*****

الفتنة الاخيرة العسكرية

توهم المتوهمون وزعم الزاعمون ان تداخل جمعية الاتحاد والترقي بشؤون الدولة كان خطراً على الشورى وعلى كيان الامة على انهم لو امعنوا الفكرة قليلاً رأوا ان تغاضيها وسكوتها هو الذي بعث على انشـــاء الاتحاد المحمدي واشتداد ساعد زعيم المستبدين ولو انهم انتبهوا لها منذ نشأتها ما كانت انجحت في الفتنة العسكرية الاخيرة التي اضرمت نارها في الاستانة وكادت تكون خطراً على حيوة الدستور . فقد فرق السلطان المخلوع الدنانير على عساكر الاستانة وجول بينهم رجال الجمعية المحمدية فطفق هؤلاء ويحرضونهم على الفتنة ويكرهونهم بضباطهم ويصيدونهم باحابيل الدين ، وفي ليلة الثاني والعشرين من ربيع الاول بينما كان اهالي الاستانة

مطمئنين في امرتهم وسابحين في بحور الاحلام وكلهم امنوا البلبال ناعموا البال مرتاحو الى حالة الدولة وراكنون الى الحكومة فاذا بهم قد افاقوا وهم يسمعون طلقات الرصاص تدوي في الآفاق وتخترق الفضاء فارتعشت فرائصهم وتاهوا في عالم الذهول ونهضوا من حجرهم ليروا ماذا طرأ على الاستانة من الانقلاب وكان ذلك في اواخر الليل ثارت فيه جنود كثيرون كلهم ممن شقوا عصا الطاعة وناوأوا الحكومة وكان عبد الحميد قد امر باسكارهم في تلك الليلة حتى يفقدوا رويتهم ويقوموا بمذبحة عامة في العاصمة تشيب لها الولدان وتكون اعظم ذريعة لرجوع الاستبداد وتفوق المستبدين . اجتمع هولاء القاتلون واكثرهم من طابور الصيادة والطابور الرابع من الالاي السادس في ميدان السلطان احمد وكانوا اجمعون مدججين بالاسلحة ينوون الشر وقد عقدوا امرتهم على فئة من الانفار لانهم كانوا خرجوا على ضباطهم ولم يشاءوا الخضوع لارادتهم ولم ينقض دجى الليل المدلهم ويهجم الصبح الوضاح حتى كنت ترى هولاء الجنود يذهبون في الاستانة كل مذهب وكلما راوا ضابطاً قبضوا عليه وبعثوه الى السجن وارسلوا قسماً عظيماً منهم لاحتلال المواقع العسكرية واوقعوا

بكثير من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي وكان السلطان المخلوع ينوي ابادتهم عن آخرهم وانحاز الى هؤلاء الجنود عساكر تكنة طاش قشلة وافراد البحرية وكانوا اذا سئلوا في ذلك اليوم عن سبب عصيانهم وتمردهم يقولون ان ضباطنا جماعة كافرون « وهو الفكر الذي بثه فيهم المفسدون من جمعية الاتحاد المحمدي » وهم دائماً يشددون علينا النكير ويوصوننا ان لا نابه للتعاليم الدينية ويحقرون السلطان امامنا ويذهبون الى انه آلة في يد جمعية الاتحاد والترقي . هذه هي الذرائع التي اتخذها زعماء الاتحاد المحمدي هم وزعيمهم السلطان عبد الحميد لاثارة مذبحة عامة في الدولة فباسم الدين قاموا يصادرون الحق وينصرون الظلم ووزعت الاموال في جميع الولايات لانشاء شعب لتلك الجمعية الفاسدة وكان المتمردون في اثناء فتنتهم يقتلون كل من راوه من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ويصيحون باعلى صوتهم من كان يغار على دينه فليلحق بنا فاننا نحن ندافع عن دين الله من الكفرة الزنادقة فحذا الاهالي حذوهم وكان عدد كبير منهم قد انضموا قبل ذلك اليوم الى جمعية الاتحاد المحمدي فهجمت العساكر الى نظارة الحربية فدفعهم عنها بعض الفوارس المحافظين

عَلَى ان هؤلاء لم تطل مقاومتهم حتى عادوا وانحازوا الى المتمردين وجعلوا يقتلون وينهبون وتوجهوا الى دار جمعية الاتحاد والترقي فدمروها وعرجوا عَلَى بناء جريدة طنين فهدموها وكذلك فقد ضربوا دار جريدة شوراي امت وازهقوا ارواحاً كثيرة واهلكوا فئة كبيرة من حزب الحرية وطالبوا في ذلك الحين فصل حسين حلمي باشا عن الصدارة وعزل احمد رضا من رئاسة المجلس فاستقالا وفرَّ عدد عظيم من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي الى خارج الاستانة فعين توفيق باشا صدراً اعظم ولما انتهت نصرة المتمردين الى مسامع السلطان طرب كثيراً وظن انه كاد ينجح في خطته المذمومة ولم يعلم ماخبأه له الدهر فان جمعية الاتحاد والترقي لم ترض عن ذلك الانقلاب الذي الحق بها اهانة فاضحة واسقطها من اعلى ذروة فلمت شعثها ووطنت نفسها عَلَى مجازاة الخائنين ومعاقبة الظالمين بما يخلق بهم ويكون مثالة يتعلمها الملوك المستبدون خلفاً من بعد سلف وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ·

الله اكبر فالظلاّم قد علموا   لاي منقلب يفضي الألى ظلموا

*****

بضعة ايام وطفق يسير المنشورات الى الجنود والى الاهالي يعرب فيها عن غرضه من القدوم وانه ماجاء الا للقبض على الذين افسدوا اخلاق الجيش وفتنوا في الامة فتنة ضارة وبذلك لم يقلق الاهالي بل هدأ روعهم وسكن جأشهم وهي سياسة فائقة لاتخطر الا في دهاة الساسة ودهاقنة القائدين . ثم انه انقاد الى مجلس الامة في كل اعماله وخططه وهذا يدل على ان الجيش الدستوري لم ينوِ ان يثير فتنة عسكرية في البلاد كما ذهب صاحب جريدة المؤيد التي تصدر في القطر المصري فان هذا الرجل قد سمى جنود الخوارج وفوق عليهم سهام اللوم والطعن وصوب نحوهم المثالب والذم وهم ماانقلوا قدماً الى جهة الاستانة الا محافظة على الشورى وتأييداً للدستور الذي امر به الشرع ولو ساغ لنا ان نطلق عليهم هذا الاسم المذكور فعلى من خرج الجيش ولمن شق عصا الطاعة واخلق به ان يدعو الفاتنين من الرجعيين وغيرهم الخوارج لانهم خرجوا على الحكومة وعلى مجلس الامة واضطروه اضطراراً ان يسقط الحكومة الشورية ويشمد الحكومة المستبدة ومما يظهر ان مجلس الامة لم يسمع دعوة الجيش الزاحف حتى خف الى سانستفانو وعقد جلساته

تحت نظار الجنود الاحرار وهؤلاء لم يستبدوا بالسلطة بل انقـادوا الى المجلس كل الانقيـاد وحسبوا انفسهم الحكومة الموقتة لتنفيذ قرارات الامة ولم يعملوا عملاً ما الا باشارة من المجلس الملي ولو شاؤوا ان يحتكروا السيطرة و يغتصبوا الحكم لما تعذر عليهم ذلك وانما عدوا انفسهم آلة في يد المجلس فلو كانوا من الطامعين في الفتن العسكرية واملاء بطونهم من مال الامة لوصلوا الى مطمعهم بسهولة على ان صاحب المؤيد قد عرف منذ نشوء صحيفته بتلونه ومناوأته للشورى وللاحرار فسامحه الله على تصديقه افترايات المفترين الساعين للفتن والثورات

وقد زحف القائد الفاروقي على الاستانة بعد وصوله اليها سان ستفانو ببضعة ايام ونشر قبل الزحف منشورات عدة وانفذ رسالة بالبرق الى السلطـان ينفي التهمة التي شاعت من ان الجيش ينوي خلعه من سدة السلطنة ويصرح ان غرضه الوحيد هو صيانة الدستور من عبث العابثين وخيانة الخائنين وبذلك اطمأن السلطان عبد الحميد ولو بقي هذا متخوفاً على عرشه لكان في ثلاث الاثناء استطاع بحيله ودسائسه ان يفتن فتنة في البلاد العثمانية بمصرة ويزعزع الامن العام اكثر مما فعل

بالزحف على الاستانة اذا الغي الدستور وتطالب منها اعادة الوزارة الحلمية وفي تلك الاوقـات خاف الرجعيون من حدوث القلاقل في الولايات فاشـار عبد الحميد بتسيير المنشورات المطمئنة الى الاقطار العثمانية فهدأت افكار البعض من الاهلين على ان الجيش الزاحف لم تجز عليه منافقة المتهوّرين ·

*****

فتح الاستانة على يد شوكت باشا

وكانت امارة الجيش الزاحف معقودة في اول الحركة على حسن حسني باشا وفي غضون ذلك كان محمود شوكت باشا يلم الجنود في الروملي ويتأهب للقيام الى الاستانة فلما تكامل عدد جيشه زحف الى الاستانة ... الى سانستفانوا في الثالث والعشرين من نيسان « حساباً غربياً » فاستلم قيادة الجيش المحاصر وقد نشر سلفه حسني باشا منشورين انفذهما الى الاستانة الواحد الى هيئة الاركان حرب والثاني الى اهالي الاستـانة فاثبت في الاول اموراً كثيرة وطلب من الهيئة ان تبث مطالب المنشور بين الجيش المستقر في الاستانة فمنها ان الجنود الذين كان لهم ضلع في الفتنة الاخيرة ينبغي ان يقسموا كلهم على القرآن العظيم انهم يكونون

مطيعين الطاعة العمياء لرؤسائهم وانه اذا عمد الجيش الزاحف
الى معاقبة الظالمين الذين اهاجوا الفتنة في الاستانة فلا يسوغ لهم
ان يتداخلوا او يقفوا دون احقاق الحق وطلبوا ايضاً ارجاع الضباط
والامراء الذين كانوا فصلوا عن مناصبهم بدسائس الفاتنين الذين
انتحلوا لهم اسم المحمديين وان يحلفوا ايضاً بالمحافظة على الدستور
وتأييد الحرية بكل قواهم والا فيكونون عرضة للاقتصاص والعقوبة
وفي المنشور الثاني اورد ان غرض الجيش من الزحف الانتقام من
الذين اثاروا لظى الفتنة الاخيرة وانهم لا يعتدون على الاهالي وامنوهم
على ارواحهم واموالهم واعراضهم الا من كان من المحركين
والذين تداخلوا في القيام بتلك المشاغب التي افضت الى اهراق
الدماء البريئة وجاء ايضاً ان الجيش يتخذ خطة العقل والتروي
فلا سبيل الى تخوف الاهالي من شيء بل يجب ان يثابروا على
اعمالهم وشؤونهم وكان اول شيء اجراه الجيش الحر انه دعا اليه
مجلس الامة الى سانستفانوا وابتدأت تنعقد جلساته هنالك تحت
حماية الجنود الزاحفين وهرب من الاستانة في ذلك الحين المبعوثون
الرجعيون ثم انه لما وصل محمود شوكت باشا الى سانستفانوا سلك
مسلكاً ممدوحاً فانه لم يشأ ان يزحف على الاستانة بسرعة بل بقي

تحفز جمعية الاتحاد والترقي لدفع الخطر

واول من وثب لقمع الفتنة العسكرية التي ثار ثائرها في الاستانة محمود شوكت باشا البطل العربي المغوار فانه ما نمي اليه نبأ المشاغبين حتى جمع الضباط في النادي العسكري بسلانيك وخطب فيهم وبعث في انفسهم روح الحماسة والنخوة ومما قاله « ايها الشجعان اني مستعد ان اموت في مقدمتكم فهيا لمعاقبة الخائنين » وقد يذكرني ذلك بخطب نابوليون يوم كان يقود جيوشه في الهيجاء فكلما رأى منهم ضعفاً او ارتخاء يطلق بالفاظ قليلة تعيد اليهم مائت بأسهم وترد خائب املهم . ولما زحف جيش الحرية على الاستانة وضرب في ضواحيها كثرت تقولات الاهالي في العاصمة فمن قائل انه يدخل في الاستانة ومن قائل انه ماقدم الا لتهديد الرجعيين ولا ينوي محاصرة الاستانة او احتلال مواقعها العسكرية وفي مساء السبت الواقع في الرابع من شهر نيسان الماضي افضى الى الاستانة عدد من جيش الحرية غير مصحوبين بضباطهم وتوجهوا في اول الامر الى نظارة الحربية يسألون عن الدستور ثم ذهبوا الى قصر المبعوثين فاستقبلوهم بالترحاب وكان عظماء المبعوثين في ذلك الحين قد

اصبحوا من حزب عبد الحميد لان من كانوا من جمعية الاتحاد والترقي قد هربوا من الاستانة خوفاً من تفاقم امر الفتنة ثم دعوا الى يلديز وادبت لهم مأدبة هنالك وقابلهم السلطان المخلوع وفاه بتلك الالفاظ التي تعودها « اني ممتن منكم جداً يااولادي » هي الفاظ قالها ايضاً يوم اعيد القانون وهو يلفظها في كل وقت على انه لايتوسع السير بها وانما يموه على سذج العقول وقد نقل جيش الدستور كل مايلزمه من الذخائر والمؤن وكمن في جتالجة ولما علم الباب العالي بقدوم الجيش الحر ارسل الى مجلس الامة يعلمه بذلك الشأن فعين المجلس ثلاثين مبعوثاً فذهبوا الى الجيش وتوجه معهم بضعة من العلماء والضباط للمفاوضة مع جيش الحرية فلما انتهوا الى الجيش سالوا الجنود عن رأيهم فابوا ان يفصحوا عن مطالبهم بدعوى ان الضباط لم يصلوا وقالوا انهم زاحفون على الاستانة وانهم يريدون تاييد الدستور والمحافظة عليه وليس لهم مارب غيرذلك وقيل انه لما وصل العلماء الى الجنود وجدوا معهم مسدسات فقالوا لهم كان يخلق باهل العلم ان يحملوا المصاحف وهاجت مراجل الغيظ بين الاهالي وجعلت الرسائل البرقية تنهال على حكومة الاستانة من كل موقع وجميعها تهدد الحكومة وتنذرها

زحف شوكت باشا على الاستانة بعد ان ركن الى سياسته المسافلة ولما دخل الى العاصمة توجه توا الى نظارة البرق وحجز عليها حجزاً قاطعاً خوفاً من الرجعيين وزعيهم ان يقوموا ويبعثوا بالرسائل المختلقة الى اهالي الولايات يهيجون فيها خواطرهم ويثيرون ثائرتهم على جمعية الاتحاد والترقي وعلى الجيش الحر وبذلك يعرقلون على مساعي الجيش في انقاذ الامة من ورطتها وتخليصها من المتهورين وفي تلك الاثناء كان هذا البطل المغوار يرسل منشورات الى الولايات يذهب بها مخاوفهم وينزع قلاقلهم ويشجعهم على الهدوء ويهدي قلقهم فسكنت الولايات وباتت تنتظر بفارغ الصبر عقيب ذلك الزحف . ثم انه كان كلما ظهر على فئة من الجيوش العاصية المتمردة في الاستانة يحتل موقعها احتلالاً عسكرياً منظماً فيضع فيه الجنود والمدافع حتى يكون متأهباً للمدافعة فيما اذا هوجم مهاجمة او قامت عليه فتنة من الارتجاعيين وهذا يدل على ان الرجل من اعظم قواد الارض حنكة وتدرباً على الشؤون العسكرية والاصول الحربية ولو كان زعم صاحب المؤيد صحيحاً في ان الجيش توخى من حركته فتنة فقط لكان كلما افتتح ثكنة تركها وعزم الى غيرها بحركة فوضوية كما هو شأن الفاتنين

على ان الجيش لم يزحف الا بامر من جمعية الاتحاد والترقي ولما بلغ شوكت باشا الى سانستفانو وصرح في احد منشوراته انه خادم للجمعية وانه ماجاء الا للمحافظه على المشروطية التي كان الجيش السبب في ادخالها بين الامة العثمانية · هذا هو الذي شهد له القائد الالماني فوندر غولتز بقوله اذا احببت ان اشبه محمود شوكت باشا باحد القواد لما وجدت له مثالاً سوى مولتكي محيي المانيا الثاني ولم ينته شوكت باشا من احتلال المواقع العسكرية الا بعد ان اهرقت دماء كثيرة ولقي مقاومة في بعض الثكنات عظيمة واخيراً احتاط بقصر يلديز قصر المستبدين ومسكن زعيم الارتجاعيين وقطع عنه قساطل الماء والغاز ثم ادوات الكهرباء ومنع احضار المأكل الى القصر وكان يسكن فيه الوف من النساء والخصيان والعبيد والحشم وحواشي عبد الحميد فاضطروا في آخر الامر الى التسليم فدخل جيش الحرية واحتل هذا القصر وقبض على كل من كان فيه من حزب السلطان والرجعيين ودعاة الاستبداد وساقوهم الى الثكنات العسكرية حتى يلقوا جزاء ماجنت ايديهم على الامة من الفظائع والجرائم ·

****

الجواب · نعم كتبه الفقير محمد ضياء الدين

فقرر المجلس الملي للحال خلع السلطان وهذه صورته (في ٧ ربيع اخر ١٣٢٧ اي يوم الثلثاء في ١٤ نيسان سنة ١٣٢٥ الساعة السادسة والنصف خير المجلس الملي المؤلف من مجلس الامة ومجلس الاعيان من قبل المشيخة الاسلامية اما بخلع عبد الحميد او بقبول تنازله عن العرش فقرر خلعه وتولية ولي العهد رشاد افندي تحت اسم محمد الخامس)

ثم عين وفد مؤلف من الامير عارف باشا ناظر البحرية سابقاً وارام افندي ناظر الزراعة سابقاً والقائد اسعد باشا مبعوث افلونيا وقاراسو افندي مبعوث سلانيك وذهب هذا الوفد الى السلطان عبد الحميد لابلاغه خبر الخلع

تأثير نبأ الخلع على عبد الحميد

ولما وصل الوفد الى القصر السلطاني لتبليغ عبد الحميد نبأ الخلع دخلوا الى ردهته فتكلم اسعد باشا احد اعضاء الوفد وقال للسلطان ان الامة قد خلعتك فهلع عبد الحميد لسماع هذا النبأ الاليم وارتعشت فرائصه واصطكت ركبه واستولى عليه جزع

عظيم ولم يستطع التجلد فسأل الوفد فيما اذا كانت حيوته امينة من الخطر فاجاب الوفد ان ذلك ليس من خصائصهم وانهم ما جاؤوا الا لينهوا اليه خبر الخلع ثم انصرفوا وغادروه في اشقى الحالات يتقلب على جمر الفرق ويتألم من عوامل القلق واما الذي اخافه حرصه على الحيوة وخشيته من الموت وكانه في تلك الساعة اعاد الى فكرته تلك المذابح التي اضرمها وتلك النفوس التي آلمها فخشي من عذاب جسيم ومن يوم عظيم · ان عبد الحميد قد ابدى يوم نمي اليه نبأ سقوطه من الجبن والخذلان والذل والهوان مالا نرضاه لسلطان من سلاطين آل عثمان واين هو من احد اجداده السلطان سليم لما تألب حول قصره المتمردون من الانكشارية وجعلوا يضجون ويصيحون ويهددونه بالقتل وانهم يريدون ان يقطعوه اربا اربا ويمزقوه قطعا قطعا فخرج من قصره رابط الجأش ساكن الفؤاد ثم قال لزعيم العصابة اذهب ايها المتمرد فنكص المتمردون جميعهم وخشوا من السلطان فامرهم للحال بان يلقوا اسلحتهم وفرقهم كلا الى موقع عمله · هذه هي البسالة التي يجب ان يتصف بها السلطان والملك لا ان يبكي بكاء مراً ويلتمس التأمين على حيوته كما فعل عبد الحميد فانه اظهر ذلاً فاضحاً وجبناً فادحاً وحرصاً على

الارمنية التي لم تمحك مثلها احدوثة القدماء وجرى شبهها في ولايات الدولة في اوربا وكل ذلك افضى الى ضياع جزء عظيم من اجزاء الدولة ولم يكتف باعماله الماضية بل عاد واضرم نار الفتن الاخيرة في الاستانة وادنة وسعى في ارجاع الاستبداد فقامت عليه الامة واسقطته عن العرش السلطاني ٠

سقوط عبد الحميد

بعد ان خمدت نار الفتن في الاستانة ونشرت الاحكام العرفية للاقتصاص من الفاتنين انعقد مجلس الامة في السابع والعشرين من نيسان وترأس هذه الجلسة سعيد باشا واحمد رضا بك فبدئت بتلاوة الرسائل البرقية الواردة من الاقطار العثمانية والتي تبغي من نواب الامة ان يخلعوا عبد الحميد فقام النواب وصاحوا بسقوط السلطان فاخذت الاصوات واطبق رأي العموم على اسقاطه من سدة السلطنة ثم بعث المجلس وفداً الى شيخ الاسلام لياخذ منه فتوى شرعية بخلع عبد الحميد فتوجه وفد مؤلف من احمد مختار باشا واسماعيل حقي افندي ومصطفى عاصم وطلعت بك فلما افضوا الى شيخ الاسلام بحثوا معه في المسألة فافتى بالخلع والقتل ورجع

معهم الى المجلس ودخلوا الى ردهة الرئاسة ثم انهم كلفوا حبيب بك نائب بولو ان يذهب الى رشاد افندي ويعلمه بخبر الخلع وتوجيه الخلافة عليه

وكان في خلال ذلك يتفاوض المجلس بمسألة الخلع فانتصب حمدي افندي وقرأ صورة الفتوى وهذه هي معربة عن الاصل :

« اذا اخرج امام المسلمين زيد من الكتب الشرعية بعض مسائل مهمه وادخل فيها ماليس منها ومنع دخولها الى بلاده وهتك حرمتها واحرقها وتصرف ببيت المال بلا مسوغ شرعي وبذر اموال الامة واسرف فيهـا وقتل النفس وسجن الرعية ونفى افرادها بلا سبب شرعي واعتاد ايتاء المظـالم حتى اصبح يفعلها كل يوم ثم اقسم بعد ذلك وعاهد الله ان يرجع الى الصلاح ثم حنث بيمينه وافسد امور المسلمين كل هذا وقد وردت علينا الاخبار من البلاد الاسلامية تنبئ بانها خلعته وخرجت عن طاعته وان في بقائه ضرراً محققاً وفي زواله صلاحاً مرجى اما يجب بعد هذا درءا للفتنة العظمى التي تضطرم لو بقي مصراً على فعله ودفعاً للقتال الذي يحدثه في الامة ان يكلف ارباب الحل والعقد زيداً بالانسحاب من الامامة والسلطنه او بالخلع وهل اذا رجح احد الامرين يجب اجراؤه »

عبد الحميد

هو ابن السلطـان عبد المجيد وكانت امه رقيقة ارمنية وقد ارتقى الي منصة السلطنة في عام ١٨٧٦ بعد ان خلع اخوه مراد وكان مدحت باشا من اكبر الساعين في تنصيب السلطان عبد الحميد ولما تولى شؤون الدولة كانت خزينتها خالية من المال والقلاقل الداخليه ذاهبة كل مذهب وكانت السيطرة الكبرى في يد الباب العـالي والصدر الاعظم كان يحكم الامة باسم السلطان فتمحض عبد الحميد للاقلال من سلطة الصدر وتنكيس رايته وكسر شوكته ورأى في ذلك الحين ان غرضه لا يتيسر له الا باهلاك عظماء الامة الذين كانوا يتقاضونه السلوك في محجة النهجة فرمى سهمه في قلب مدحت باشا واتهمه بقتل السلطان عبد العزيز فحوكم محاكمة مضحكة وتقرر اعدامه على ان السلطان ابدل الحكم الاعدامي بنفيه الى الطائف ثم انه لم يصبر عليه الا قليلا حتى امر بخنقه

ان عبد الحميد صرف كل عمره وذكائه المفرط في الحرص على الحيوة والاجتهـاد في توسيع سلطته وقد علم الامة الجبن والكذب فلم يكن يصدق شيئاً يصل اليه وكان يقول للسفراء

انهم كاذبون في حضرتهم فولد في اوربا اعتقاداً سقيماً بالامة العثمانية وقتل المعـارف والعلوم ومن الادهش ان هذا الرجل بينما كان لايحجم البتة في اغراق العقلاء المصلحين في البحور وزجهم في السجون كان يتردد كثيراً في اصدار ارادته بقتل القاتل فانبعثت الشرور في الامة وتضعضع الامن وتشوشت شؤون الملة وقد عاث في الدولة فساداً ولعب بها لعب الكرة وكان يحتم على الحكومة ان لاتقوم بعمل صغيراً او كبيراً الا بارادته السنية فامات الاعتماد على النفوس وقتل الهمم واباد الاخلاق العالية وغش العامة بتنفيرهم عن العلم ودعواه ان العقائد تناقض العلم فرغب ... عن التحصيل ووجهوا هممهم وصرفوا نفوسهم الى مناوأة العلماء ومقاومة التصانيف النافعة ومصادرة المدنية الاوربية · تربع عبد الحميد في دست السلطـان في حين كانت اوروبا بالغة اقصى درجات الحضـارة ولم يستطع ان ياخذ عنها شيئاً بل ظلم رعيته والحش في معاملاته مما يخجل منه نمرود والمستبدون الذين ظهروا في القرون الاولى وكان يسهل عليه قتل النفوس البريئة ويتلذذ برؤية نصراء الاصلاح مغلولين في الاغلال او غرقى في العباب واتخذ ديدناً له في كل حيوته التفريق بين عناصر الامة فاثار عواصف المذابح

الحيوة غريباً وخنوعاً عجيباً

وهل يخلق بمن تخلق بخلق الجبن ان يكون ملكاً يدير شؤون الرعية وهو يبذل الرخيص والغالي ويقتل الامة في سبيل الحرص عَلَى بقائه وهل تعد هذه الحيوة جديرة بهذا الاعتناء المدهش وهذه الانانية الخارقة التي سولت للسلطان المخلوع ان يستحل دماء الامة ويهلك رجالها ويقضي عَلَى آمالها الى آخر الدهر . كان كلما خاف من امرىء اعلق فيه اظافر المنية وافناه من هذا الوجود وما كان اجدره ان يلقى نبأ خلعه بهدوء تام وجاش ثابت عَلَى ان ما رفعتهُ الفطنة فقد اهبطته الذلة واصبح السلطان عبدالحميد ضحكة للعقلاء ولا يزال الى الآن يهتم بامر حيوته ويسترحم التجافي عن الايقاع به والقضاء عليه . هو رجل انبعث في مظالمه وتمادى في غيه وانتقامه وآخر دور مثله عَلَى ملعب الاستبداد كان قبل خلعه بقليل فانه راسل حكومة النمسا وعرض عليها ان تحتل اقطار مقدونيا وانه يسلمها اياها ثم انه ظهر لجمعية الاتحاد والترقي انه كان له الباع الاطول في اشعال نار الفتنة في ادنه ونواحيها ووصلت الى اوراق تثبت ذلك فان كان هذا الامر صحيحاً فيكون خلع السلطان عبد الحميد جزاء طفيفاً امام افاعيله وآثامه وربما استحق جزاء اعظم والله اعلم

مجالس الامة وخلع السلطان

ان خلع السلطان عبد الحميد كان الوقعة الفاصلة في الحرب بين الظلم والعدل او بين الاستبداد والشورى واسفر عن ظهور الدستور وانتصاره على دعاة الجور وحصحص الحق وانقضت اركان المساوئ واصبحت الحرية في مأمن من غوائل الخائنين الفاتنين ولو لم يكن الجيش مؤيدا حزب تركيا الفتاة لكان قضى عليه واعيد عهد الظالم وحصل انقتال ربما افضى الي هلكة الامة ودمارها على ان تضاؤل الرجعيين امام الاحرار وانصداع بيضتهم واندحارهم ادى الى تعاظم ذلك الحزب ثم الى قيامه على السلطان وخلعه فتوثق الدستور وحيي مجلس الامة حيوة صحيحة لاتشوبها خيانة الخائنين ودسائس المفسدين • ولم يبق على الاحرار الا ان يقبضوا على السلطة ويظهروا على رؤس الاشهاد ويتلقوا المسؤولية كما انهم يرضون بامتلاك السيادة وكلاهما لازم وملزوم فاذا ابدت جمعية الاتحاد والترقي كفاءة واقتدارا في انتقاء الوكلاء والنائبين ثم هي وسعت نطاق ... وانقطعت عن التداخل في شؤنهم فالمستقبل ركين ... الشعب ... ويتحتم عليها ان لاتلقى مقاليد السياسة الا في ايدي اعضائها الواثقين الذين عرفوا بالاعتصام بالحق والتحاشي عن

الظلم ويجب ايضاً ان تنبذ الارتجاعيين نبذ النواة وتقتص اثارهم وتقصيهم عن مناصب السياسة مهما استطاعت ولا تنس ان خلع السلطان كان نقطة انقلاب في الامة العثمانية لاتخلقها العصور بكرورها ولا تهرمها الدهور بمرورها · ان الدول الاوروبية لاتثق بحزب تقوم له قائمة او تثور له ثائرة في هذه الاقطار الا حزب الاتحاد والترقي فهو الذي كسب ثقتهن واضحين جميعهن يثنين عليه الثناء الصادق ويذهبن الا نه هو الذي يتوقع منه الاصلاح الصحيح وهو الذي يرغب في ترقية الامة والوطن وما عداه من الاحزاب العثمانية ليس سوى جماعات متمردة خارجة علَى الشورى تختفي ببعض الحقائق للتمويه علَى عقول البسطاء وارجاع سيطرتها المعهودة وسلطتها المفقودة ·

*****

﴿ الحرب الاهلية العثمانية ﴾

لم ينقل لنا التاريخ مثالاً للحرب الاهلية التي حمي وطيسها في الاستانة وذهب في سبيلها الوف من الرجال فاننا ماقرأنا تاريخ امة من الامم واضطرمت فيها نار الثورة الا وعقبها ما يقال له عند الفرنجة ﴿ Dictature ﴾ اى الحكم العسكري المطلق فانه لما شبت

الثورة في بلاد الانكتار ظهر كرومل العسكرى الظالم وتولى شان الحكومة وقتل الملك واستبد بامر الرعية واصبح هو السلطان غير مقيد وفي فرنسا قام نابليون ونكل بالامة تنكيلاً ومثل بهـا تمثيلاً وازدرى بمجلس الملة واستخدمه وسيلة لقضاء ماربه والبلوغ الى غاياته فكان في بادى الامر منتصراً للحرية فلما اباد الرجعيين وفقاء عيون الفاتنين اغتصب الملك وحقر البارلمان وتوصل الى الملكية وظلم الامة ظلما مدهشاً على ان بلدنا لم ير في ثورته شبها لتلك الثورات بل قيض له الله ابطالاً يخدمون الامة لغير غرض سوى خدمتها ونظير نابوليون وكرومل محمود شوكت باشا فان هذا القائد الفاتح لم يشا ان يتعرض للسياسة ولم يتصد للرئاسة وحين عرض عليه منصب الصدارة ابي كل الاباء وقال اننا نحن الجنود ليس لنا حق بالتداخل في الشؤون السياسة الادارية ولم ننض سيوفنا الا خدمة للامة لالمطامع في انفسنا وانما فعلنا ما تقضيه منا الشورى والشريعة واطلنا الاحكام العرفية لترسيخ قدم الدستور وصيانة حوضته والذب عن حوزته حتى لايظل مجال للعابثين الذين يهددونه بجرائمهم ويقلقلونه بمفاسدهم والسياسة لها ناس يقومون بها ثم انه صرح انه يلبث في الاستانة حتى يعود الحق الى نصابه فيرجع

الى وظيفته خارج العاصمة فهذي هي الرجال التى يؤمل منها نفع الامـة وكلما عظم هذا المبدا بين الامـة تقوى وترقى اعني به التضحية في سبيل الوطن والتهالك عَلَى خدمته ولو شاء شوكت ان يتشبه بنابوليون وغيره والجيش طوع بنانه لكان فعل ماشاء وارانا كرومويل ثانياً في قرن العشرين ونابوليون اخر في الدولة العثمانية على انه اقتدى بجده الفاروقي ونسج على منواله وضرب على قوالبه واستمات في المحافظة عَلَى الدستور لتايبد الحق برغم المناوئين وقهر الظالمين

الانقلاب العثماني السياسي

ولما ظهرت جمعية الاتحاد والترقي على حزب المفاسد وقلبت الحكومة رأساً عَلَى عقب تساهلت تساهلاً غريباً في خطتها ازاء الرجعيين المستبدين ولم تقتص منهم او لم تطهر الامة من شرهم وقد ادهش الانقلاب العثماني جميع الامم الغربيـة لانـه لم يقترن بسفك الدماء والمعلوم في قواعد العمرانية الثابتة ان الغايات البعيدة التي ينشدها المصلحون لاتبلغ الا باهراق الدم فجعل الناس يتقولون تقولات متفاوتة فمنهم من ذهب الى ان الانقلاب الاخير معجزة المعجزات لان التاريخ لم يذكر له مثالاً ومنهم من

زعم ان الامة نالت الدستور بنعمة السلطان عبد الحميد السابق على انهم لم يدر في خلدهم عندئذٍ ان الثورة لابد منها وان الشورى لا تتايد الا على حد السيوف وما احسن نبوءة مدحت باشا فانه قال يوم احتضاره ان الامة سوف تعيد الدستور بعد ثلاثين عاماً ثم ان انقضى على تلك الاعادة ردح من الزمان تستعر نار الحرب الاهلية فتكون اخر خطر على الشورى ·

غزا المتقهقرون الى هذه الجمعية الفاضلة اخلاقاً ساقطة هي بريئة منها وطمعوا بها طمعاً مذموماً وجعلوا يبتهلون الفرص ويتحينون الحوادث لايقاعها في اشراكهم واسقاطها في مصايدهم وكان الباعث على القاء مفاسدهم وفتنهم اغراضاً سيئة ومن اكبر اولئك المفسدين الذين قاوموا الجمعية مراد بك الداغستاني فان هذا الرجل كان في دور الظلم من زعماء الحرية ودعاة الحق وترأس على الجمعية في باريس ثم ان السلطان عبد الحميد استدعاه الى الاستانة ووعده انه لايسيي اليه البتة فاجتمع الاحرار في باريس وتفاوضوا مليا مع مراد بك وقالوا له انه اذا توجه الى الاستانة فاما ان يهلكه السلطان عبد الحميد او يعفوا عنه فاذا طلب منه ان يتنحى على الجمعية فينبغي ان لا يرجع عن طلبه ولو افضى الامر الى هلاكه

وبذلك يكون قد ذهب شهيداً في سبيل المبدأ الدستوري فاستسلم لمشيئتهم وذهب الى الاستانة على انه ما وصل اليها حتى ملقة السلطان المخلوع السابق وانعم عليه فترك الجمعية وجعل يناوئها منذ ذلك الحين • فلما انتصرت في العام المنصرم وقوضت اركان الجور عاد مراد بك الدغسطاني وودَّ الاندماج في سلك اعضائها فرفضوا كل الرفض ونقم مراد بك عَلَى جمعية الاتحاد والترقي وقام هو وانصاره وقعد وارغى وازبد وعزم عَلَى مناوأة الاحرار في كل شيء فانحاز الى عبد الحميد وكان السلطان في كل تلك الاوقات يداجي اصحاب الشوري ويماذقهم ويتلون في احاديثه تلوناً عجيباً فركنت الجمعية الى الارتجاعيين ولم تدفع الخطر قبل تفاقمه •

****

❊ تساهل جمعية الاتحاد والترقي ❊

كان روبسبير زعيم الثورة الفرنساوية وسائر زعمائها يقتلون كل من اشتبهوا به فذهب البريء مع المذنب وبذلك اشتد ساعد الدستوريين في فرنسا وعظم امرهم وقد فعل فعلهم جميع المصلحين الذين قاموا بالانقلابات السياسية فان محمد علي قتل المماليك حتي

يخلص من شرهم ويامن من ضرهم ولم يشفق عليهم وهكذا فعل نابوليون و كرومول و كان صاحب الدعوة العباسية يقول لقائده ابي خراسان من شككت فيه فاقتله ·

ان حزب الرجعة في كل بلد يجري فيه انقلاب سياسي مثل الانقلاب العثماني خطرٌ علَى تأييد الحكومة الجديدة فاذا لم يقم اهل الانقلاب ويطهروا الامة من المتقهقرين اما بقتلهم او بنفيهم الى الاصقاع النائية او بغل ايديهم عن الاعمال فلا مندوحة لهم من الخوف والخشية على دستورهم وحكومتهم التي اراقوا دماءهم في سبيل انشائها · لو فطنت جمعية الاتحاد والترقي لهذه القاعدة الاجتماعية وقامت في بادئ امرها و بطشت بالرجعيين بطشاً عنيفاً لما تمكنوا من تشكيل الجمعيات المضرة والاحزاب المقلقة علَى انها استعملت اللطف ولين الجانب فافضى تساهلها الى الفتن التي قامت في ادنه والاستانة ومرسين وغيرهن من المدائن ولولا مسارعة الفيالق الحرة وزحفهم على الاستانة في الحركة الاخيرة لكانت سالت الدماء انهاراً وقتل من العثمانيين خلق كثير وحدث انفصال لايعلم عقباه الا الله علام الغيوب ·

ولو كان الداغستاني وغيره من الذين فتنوا ودسوا دسائسهم

احراراً كما ادعوا يريدون خدمة الامة ورفع شانها لكان قال عندما رفض من الجمعية كما قال احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان يوم طلب الثائرون منه ان يستقيل من رئاسة المجلس اني قد قضيت ثلاثين سنة في خدمة الوطن فاذا كان الان تنحي عن الوظائف نافعاً للامة فانا اتخرج من الاستقالة . ولو فعل الداغستاني هكذا وظهر باعماله انه ينوى نية صالحة لهذه الامة لكانت عادت الجمعية رجعت عن عزمها وسمحت له بالدخول اليها .

* * * *

الدين في السلطنة العثمانية

لم تكثر النحل في دولة من الدول الحديثة مثلما كثرت في الدولة العثمانية ولقد كان تنوع الاديان من اعظم الاسباب التي ضرت بالامة وافضت بها الى الضغائن والاحقاد ولا اقول ان الدين نفسه هو الذي بعث على تلك الاضرار وانما تعصب الطوائف وقيامها بعضها على بعض ادى بنا الى تفريق كلمتنا وتشتيت امرنا دع عنك جهل الامة المطبق وغفلتها وتراميها في مهامه الضلال وتخبطها في دياجي الظلام حتى انصرم عليها احقاب متطاولة وهي تجهل كل شيء تجهل العلوم الدنيوية وتجهل اديانها التي تنتمي اليها واصبحت

تلك النحل مسيرة في معايشها تنقاد لزعمائها وتسلم مشيئتها لهم فيهورونها وينفرونها عن بعضها ويظهرون لها اديانها بغير مظهرها الصحيح فيظن المرء ان دينه يأمره بنكث العهود وخرق الوعود وتلبست الحقائق وضاعت الاصول وغلا هؤلاء الناس في مسالكهم غلوا عظيماً مضحكاً فقام المصلحون وطفقوا يرتقون الفتوق ويرابون الصدوع ولقوا المشقات والصعوبات ولم يالوا جهداً في ارجاع الاديان الى اصولها وتعليم النحل حقيقة اديانهن حتى لا يبقى مجال لتمويه المموهين وعبث العابثين .

زعم بعض الجاهلين الاغرار ان الدستور لا يجمع بين المسلم والنصراني ولا يؤلف بين هذه النحل المتفاوتة وجعلوا يتشاءمون ويتطيرون من الحرية التي ظهرت بين العثمانيين وتراهم اينما وجدوا يتشدقون بهذه الخرافة ويشيعون تلك السخافة وهم قوم ليسوا سوى ناصرين للباطل كارهين للحق وما ذهبوا اليه لا يقبله رجل عاقل عرف على موقع الامة العثمانية ووقف على دخائل الدولة الحاضرة ولو اعادوا نظرهم في القانون الاساسي لوجدوا انه يتكفل بنزع الامتيازات المذهبية ويسهل السبيل المودية الى نزع النعر

الدينية والقضاة علَى الاضغان القديمة واذا قوي حزب الحرية وهو سيقوى ان شاء الله فسنرى كل هذه الاختلافات والمناوءات مدفونة في صدور الايام وتصبح الامة لاتنظر الاّ الى ذوي الكفاءات و ارباب الاقتدار واما التفريق الديني الذي ساد علَى عقول المشارقة فينصرم حبله بعد حقبة من الزمان قصيرة ولو راجعنا القانون الاساسي الذي تمشي عليه الفرنجة نجد ان قانوننا اعدل من تلك القوانين بكثير ففي انكلترا مثلاً ترى ان التفريق الديني لا يزال موجوداً حتى الآن والقانون يفضل ديناً على اخر ويمنح لاحدهما مايحظره علَى الاخر

﴿ مال السلطان المخلوع ﴾

الان قد خلع زعيم الخائنين وانهارت دعائم المستبدين ولم يبق علَى الحكومة الحرة الجديدة سوى اصلاح الدولة واعلاء شأن الامة والمال هو الوسيلة الصحيحة لترقية البلاد ومن المعلوم ان السلطان المخلوع قد انهك الامة بما سلبه من مالها واضعفها حتى اصبحت مضرب مثل بالاملاق بعد ان كانت امة غنية ذات مجد مشهور وعز مأثور · ان عبد الحميد فوق اسرافه وتبذيره من بيت المال قد حشد مالاً كثيراً واثرى اثراءً كبيراً حتى اضحى من

اغنياء الدنيا القليلين فلو حجزت الامـة ثروته كلها واودعتها في خزينة الدولة فلا تكون قد اساءت اليه او تحاملت عليه لان مال الامة يرجع الى الامة وما استنزف من بيت المال ينبغي ان يعاد الى بيت المال فليقل انصار عبدالحميد من غلوائهم وليعدلوا عن انحيازهم وليذكروا ما كان يفعله خلفاء الاسلام العاقلون وحسبهم ماروي عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم فانه ولى احدهم على ولاية وعزله بعد ان اقام في عمالته عاماً واحداً فرجع الوالي المعزول بقافلة تحمل الاثاث والرياش والتحف والسجاد فقال له النبي مامعناه من من اين لك هذا يارجل فقال له قد اهدي الي فقال له لو كنت في بيت ابيك وامك ما كان ذلك اهدي اليك فانك قد اخذته من الامة باسم وظيفتك فارجعه الى بيت المـال فارجعت تلك الهدايا الى الخزينة ٠

وزار مرة والد معاوية ابنه وهو والٍ في الشام فرجع من زيارته وهو يحمل هدايا كثيرة اهداه اياها معاوية فوقع نظر الخليفة عمر ابن الخطاب على تلك الهدايا فسأله من اين وصلت اليك فقال اهدانيها ابني فامر باخذها الى بيت المال ثم بعث الى معاوية وانبه على ذلك العمل والروايات التي تروي عن مثل هذه

لاعمال كثيرة فهل بعد هذا من حرج على الحكومة العثمانية الحرة اذا حجزت على مال عبد الحميد الخائن وهل تكون قد اخطأت اوفعلت فعلة اذا حجزت على ثروة السلطان المخلوع ٠

ان عبد الحميد كان يتناول راتباً من الخزينة معلوماً وكان ينفق على ملاذه وسعادته اكثر من ذلك الراتب فمن اين اتى بتلك الثروة الباهظة الم يبتزها من مال الامة وهل تعاب الامة اذا طلبت حقها من ذلك الظالم الجائر ٠ ولا يخفى على احد من العثمانيين انه اذا اضيفت ثروة السلطان المخلوع الى الخزينة فيقوى كثيراً ويسد العجز من ميزانية الدولة وربما اوفت جزءاً عظيماً من الديون العمومية ٠ ويكفي عبد الحميد الآن الراتب الذي عينه له مجلس الامة وهو اثنا عشر الف ذهباً في العام وان رؤساء الحكومات الجمهورية لا يتناول واحدهم سوى عشر الاف ليرة في السنة فللسلطان المخلوع اسوة برئيس جمهورية فرنسا وغيره من الرؤساء على ان الراتب الذي عين له كبير وكان يكفيه نصفه او ثلثه او اقل من ذلك بكثير ٠

ومهما كانت حالة عبد الحميد الان فان الحكومة قد عاملته باللطف وسامحته عن سيئاته الهائلة التي ارتكبها في عهده المشؤوم

ولو عاقبته عقاباً اشد من الخلع فلا تكون قد ظلمته البتة وانما المقرمن خلق العظماء الكبراء فالسلام على جمعية الاتحاد والترقي والسلام على زعيم الجيش الحر شوكت باشا والسلام عَلَى كل من قال الحق

وداع وعتاب للسان المخلوع

بعد خلع السلطان عبد الحميد قام شعراء العثمانيين ونظموا القصائد في تهنئة الامة العثمانية ولم يجد من شعراء العرب غير شاعر الشام في وصف العواطف التي استولت على الامة بعد الخلع وذكر المساوي التي افضت الى سقوط السلطان المخلوع وقد اظهر معايبه وشهره على رووس الملا ولما ظهرت قصيدته في قطر الشام ارتاحت جميع العثمانيين لها وكنت ترى الادباء والمتعلمين يروونها ويحفظونها وهي اليوم حديث الناس عَلَى اختلاف طبقاتهم ونحلهم · نشرت في جريدة المقتبس بتوقيع « ف » ثم اخذت الى بعض الجرائد الاخرى والمجلات وها انا مدرجها في هذه الرسالة حتى يطلع عليها قراؤها ويجدر بكل عثماني ان يحفظها حفظاً كاملا

الله اكبر فالظلام قد علموا لاي منقلب يفضي الالى ظلموا
لقد هوى اليوم صرح الظلم وانتقضت اركانه وتولت اهله النقم
وحصحص الحق في عز وفي ظفر يحفه خادماه السيف والقلم

ثارت له عصبةٌ كانت مشردةً وقد تهددها الارهاق والعدم
من كل اروع في حيزومه حنق في نفسه عزة في انفه شمم
عبد الحميد استمع منهم مناقشة فطالما صبروا بل طالما كظموا
غادرت امتك المنكود طالعها تعض مقلتها ان عدت الامم
اطلقت فيها سيوف الغادرين وقد كانت بحبلك بعد الله تعتصم
الله الله ياراعي القطيع فقد لاقت مصارعها في رعيك الغنم
حملتنا ماتنوء الراسيات به كيف الصنيع وانت الخصم والحكم
فكم شكونا ولم تسمع شكايتنا وكم دعونا وحظ الدعوة الصمم
ولي نعمتنا قل لي اما بطلت تلك الولاية لما ضاعت النعم
فلو رفقت امير المؤمنين بنا ما كان انفت مصدور وسال دم
محافظ الحرمين اعدل فهل امنت في ظلك الكعبة الزهراء والحرم
ام حج حجاج بيت الله في دعة بدون ان يرهقوا فيه ويهتضموا
وليته فاسقاً لم يرعَ حرمة من في ذمة الله ضاعت عنده الذمم
كم استجاروا عليه فازدريت بهم ان لم تكن ناقماً فالله منتقم
رب الهلال اجب هل كنت تمنحه ما اعتاد من نصرات ذلك العلم
ماذا فعلت باحرار البلاد وما جنوا علىَ الدين والدنيا وما اجترموا
حتى قسمتهم شطرين فازدحمت علَى جسومهم النيران والرخم

مزقت شملهم في كل ناحية فارغموك بحول الله والتأموا
وياسلالة عثمان اما اتصلت منه اليك الصفات الغر والهمم
اين الفطارف ارباب العزائم من اسلافك الصيد من بالعدل قد عظموا
شادوا لك العزة القعساء من قدم فجئت تهدم ما شادوا وما رسموا
كانت لهم دولة بالسيف ناهضة وفي زمانك لا سيف ولا قلم
حصدت ما زرعوا فرقت ما جمعوا هدمت ما رفعوا بعثرت ما انتظموا
ملكتنا فرأينا منك طاغية لم يدرك ندًّا له المشهود والقدم
نيرون عندك او فرعون قد غفرت زلاته واستحيت شاهها العجم
حجاج عصرك بل تولى العقاب بلا ذنب ومزّاك عنه الجمع والنهم
قد اخترعت ضروباً للمظالم والـ تنكيل ما فعلنوا فيها ولا حلموا
خليفة الله قد خالفت ما امرت به الشريعة والتنزيل والكلم
وسيرة الخلفاء الراشدين بها خير المواعظ للظلام لو فهموا
ركبت مركب جور ليس يقتله من يخلفه سيف قومة الصنم
دمرت بيتك ياهذا فانت اذن عدو نفسك او قد مسك اللمم
حشدت زمرة غدارين كم سفكوا واستنزفوا ثم لا يقيدوا ولا غرموا
المخلصون تولوا منك وانهزموا والخائنون علَى ابوابك ازدحموا
اسرفت في نهب بيت المال فاستلبت منه الجواسيس ماشاوا وما غنموا

عصابة ثقلت في الناس وطأتهم ... صموا عن الحق في اغراضهم وعموا
اخترتهم واختيار المرء شاهده ... ياليتهم رفقوا بالخلق او رحموا
خانوك لما رأوا منك الخيانة في ... بنيك والمرء موسوم كما يسم
حبست آلك حتى بعضهم هلكوا ... كأنما لم تكن قربي ولا رحم
حاولت اطفاء نور الحق وهو لظى ... تثور افواهه ان سد منه فم
طال الزمان على جور تمالجه ... وعيل صبر الورى واستحوذ السأم
ضاقت دارتهم في الارض فانا عت
والمرء مستبسل ان عضه الالم
قد جمع الظلم منهم كل مفترق ... وشد ما استتروا في الامر واكتتموا
وكلما نا عنهم رهطك انبعثوا ... يدرون وان لاحظتهم جثموا
وعندما اكتملت للوثب عدتهم ... توكلوا واستخاروا بالذي عزموا
سلوا عليك سيوف العدل مرهفة ... كأنها شهب في الافق او رجم
شقوا بها في جلابيب الدجى شفقا ... بشت له الارض وانجابت به الظلم
وطالبوك بحق كنت هاضمه ... وحاكموك الى البتار واختصموا
فادوا بارواحهم حبا بامتهم ... فلتحى تلك السجايا الغر والشيم
قد كان ما كان والرحمن ناصرنا ... فالعدل منتصر بالجور منهزم
دبرت فتنة سوء تستعيد بها ... من مجدك الباطل الغرار ما هدموا

مجد كبير طوته ظلمة كثفت ثم انجلت فاذا ماتحتها ورم
كروا بعزمة حرجاء منصراً انفسه واستباحوا منك مااحترموا
فانزلوك عن العرش الرفيع وما كانوا يريدونها لكنهم رغموا
تأبى الشريعة ان تبقيك حافظها وانت بالغدر والاغواء متهم
فاليوم تعلم عقبى من يخون ومن يطغى وتندم اذ لاينفع الندم
هبطت من قمة الامجاد منحدراً كصخرة حطها من شاهق عرم
ففي هبوطك عاد الملك مرتفعاً وفي هلاكك كل الخلق قد سلموا
كانت باقبالك الاقدار عابسةً فاصبحت بعد ما ادبرت تبتسم

كيف يترقى الوطن

نظمت قصيدة اتيت فيها اغراضاً شتى واشرت الى طرق في الاصلاح جمة واني ارجو ان تنتبه الامة نفسها وتقل من الاقوال وتكثر من الافعال مستشهدة بقول الشاعر

ان قلت ويحك فافعل ايها الرجل لايصدق القول حتى يشهد العمل

القصيدة

الى كم نرتضي الاخفاق دابا ونخشى في مقال الحق عتباً
هبطنا في الحضيض وفاز قومٌ واصبح خصبنا محلا وجدبا

فهم شادوا الركائب للمعالي … ونحن نسير اهوانا وشغبا
ويلقى الحرُّ فيهم كل مجد … ويلقى بيننا هوناً وكربا
فياوطني المفدى بالغوالي … اتنكب عن مسير الذل نكبا
وخذ عتماً بهذا الدور علماً … فتبلغ في سماء العز شهباً
وما الانثى كما زعموا رقيقاً … وان من المعايب ان تربى
حجزناها بهذا الخدر ظلماً … وحتمنا عليها ان تخبا
لقد دفنت وكان البيت قبراً … وكفن جسمها خمراً وحجبا
أئن حقرن في الحقب الخوالي … فانا قد حربناهن حربا
وحرمنا عليهن اغتباطاً … بما متعنه شرعاً وطبا
وخلنا ان تربية الغواني … تنيل القوم مفسدة وعيبا
فيا قومي اراكم قد سقطتم … فهبوا كي تصيبوا المجد هبا
ولا تبقوا نياماً او حيارى … وذبوا عن ذمار الحق ذبا
عيون الغرب شاخصة الينا … فلا تذروا له في الطعن دربا
علام نهاب حدثان الليالي … ونقتل عمرنا كبراً وعجبا
ننام على فراش الذل سخفاً … ونرضى ان نهان وان نسبا
لقد حان القيام فان تقوموا … يعد للشرق مجد زار غربا

نبذنا كل حر مستقيم　　واخبلنا واكرمنا الخبا
ويا من ناوأوا الاحرار ظلماً　　لقد كان النواء خنا وكذبا
هوى متبوعكم (عبد الدنايا)　　فالقى هيه في النفس رعبا
فيا حزب المفاسد مارعيتم　　لدين الله او للقوم قربى
نكثتم عهده نكث الغوانى　　كان صدوركم لم تعط قلبا
وباسم الدين قد قمتم بشغب　　يحول بشرنا حزناً وندبا
اثرتم فتنة بين الاهالي　　واضرمتم بنار الحقد حربا
اتاكم شوكت المغوار يسعى　　فابلى فيكم طعناً وضربا
بجيش لايماثله خميس　　اذا شبت معالي الحرب شبا
فويل للضلال وناصريه　　من البطل المظفر يوم عبى
فهالك كل رجعي خؤون　　وذلل من جموح الجور صعباً
وعاد من المعارك في انتصار　　يفوق به الورى عجماً وعربا
فياحبا دولة الشورى يقيناً　　واوجد بين هذا الشعب حبا